

التعريف بكتاب الفتح الإسلامي لبلاد المغرب Présentation de l'ouvrage « La Conquête islamique du Maghreb »

أ.د. / بن عميرة محمد

مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)، جامعة الجزائر 2

البريد الإلكتروني: lecmma@univ-alger2.dz

الملخص:

يتضمن التعريف بكتاب الفتح الإسلامي لبلاد المغرب (ترجمة تاريخية في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي)، ذكر فصوله، وهي ثلاثة، ومباحثه وهي ست وستون، ثم التطرق إلى منهجه الذي يعتمد على استغلال المصادر العربية أولاً وتحريرها بطريقة أكاديمية حديثة، ثم النظر في كيفية استغلالها حديثاً من قبل الكتاب الغربيين (الفرنسيين)، والشرقيين (العرب) حديثاً، وكيف استغلّ أواخر هؤلاء كتابات أوائلهم، مع محاولة التوقف عندما أصاب فيه وما أخطأ هؤلاء وأولئك.

الكلمات المفتاحية: الفتح الإسلامي؛ بلاد المغرب؛ المؤرخون الغربيون؛ إعادة كتابة التاريخ؛ المصادر العربية؛ المنهج التاريخي.

Résumé:

La description du livre de l'ouverture (conquête) islamique du Maghreb (Expérience historique de la réécriture de l'histoire islamique) consiste à citer ses tomes, qui sont au nombre de trois, ses chapitres qui sont soixante six, vient ensuite l'exposition de la méthode appliquée qui se base sur l'exploitation des sources arabes, en premier lieu, en la rédigeant par une méthode académique moderne, voir ensuite comment a-t-elle était exploitée récemment par les écrivains occidentaux (Français) et orientaux (Arabes) et comment les derniers ont exploité les travaux de leurs prédécesseurs, en essayant de s'arrêter là où ceux-ci ou cela ont tort ou raison.

Mots clés: Conquête islamique; Maghreb; Sources arabes; Réécriture de l'histoire; Méthode académique; Historiographie occidentale.

مقدمة:

نتناول مداخلتي هذه: التعريف بكتاب الفتح الإسلامي البلاد المغرب الذي تم تأليفه في إطار « تجربة منهجية في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي » عموماً، وتاريخ بلاد المغرب، بصفة خاصة. وقد عالجت هذا الموضوع في ثلاثة أجزاء، تضمّن أولها: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، من بدايته إلى نهاية ولاية عقبة بن نافع الأولى، واستغرقت كتابته 530 صفحة؛ ويتضمّن ثانيها: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، من بداية ولاية أبي المهاجر دينار إلى بداية ولاية حسان بن النعمان الغساني، وكتب في 493 صفحة؛ أما الجزء الثالث والأخير، فهو الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، من بداية ولاية حسان بن النعمان الغساني إلى نهايتها، وتمّ إنجازها في 449 صفحة، أي أنّ مجموع صفحات هذه الأجزاء الثلاثة تساوي اثنتين وسبعين وأربعمئة وألف.

وتمّ التطرّق، في مجمل هذه الصفحات، إلى كلّ أحداث الفتح الإسلامي الذي عرفته بلاد المغرب، أي المغرب، كما كان يسمّى آنذاك، من أدناه شرقاً في برقة منذ بدايتها سنة 22هـ/ 643-644م، إلى نهايتها سنة 84 أو 85هـ/ 703-704-705م، في أقصاه غرباً بالمحيط الأطلسي.

ويتضمّن الجزء الأول من هذا الكتاب ستّة فصول، هي:

- أسباب الفتح الإسلامي.
- دور عمرو بن العاص في فتح بلاد المغرب.
- أوضاع إفريقية البيزنطية عشية الفتح الإسلامي.
- دور عبد الله بن سعد بن أبي سرح في فتح بلاد المغرب.
- دور معاوية بن حديج في فتح بلاد المغرب.
- دور عقبة بن نافع في فتح بلاد المغرب، إلى نهاية ولايته الأولى عليها.
- ويشمل الجزء الثاني ثلاثة فصول، هي:
- دور أبي المهاجر دينار في فتح بلاد المغرب.
- ولاية عقبة بن نافع الثانية على بلاد المغرب.
- دور زهير بن قيس البلوي في فتح بلاد المغرب.
- أما الجزء الثالث فيحتوي فصلين وخاتمة، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في هذا العمل.

وعنوان الفصل الأول هو: دور حسان بن النعمان الغساني في فتح بلاد المغرب.
أما الفصل الثاني والأخير فعنوانه: دور موسى بن نصير في فتح بلاد المغرب.
ومن المباحث التي تمّ علاجها في الجزء الأول:

- حملة عمرو بن العاص على برقة.
- حملة عمرو بن العاص على طرابلس.

- عودة عمرو بن العاص إلى الفسطاط.
- الأوضاع السياسية لإفريقية عشية الفتح الإسلامي.
- الأوضاع الاقتصادية لإفريقية، عشية الفتح الإسلامي.
- حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح على إفريقية.
- شخصية عبد الله بن سعد بن أبي سرح.
- استعدادات عبد الله بن سعد بن أبي سرح لفتح إفريقية.
- تجاوب الخليفة عثمان مع اقتراح ابن أبي سرح.
- زحف حملة ابن سعد على إفريقية.
- الاتصالات الأولى بين الطرفين: العربي والبيزنطي.
- المعركة الحاسمة بين جيشي ابن أبي سرح وجرجير.
- نتائج هزيمة جرجير وقتله.
- عقد الصلح بين ابن سعد وبين أهل إفريقية.
- مدة إقامة ابن أبي سرح في إفريقية.
- نتائج حملة سببلة.
- مسألة غنائم إفريقية.
- حملة معاوية بن حديج على إفريقية سنة 34هـ/655م.
- من هو ابن حديج؟
- هل قام ابن حديج بحملة على إفريقية سنة 34هـ؟
- حملة ابن حديج الكبرى على إفريقية (سنة 45).
- نشاط عقبة بن نافع أثناء ولاية عمرو بن العاصر الأولى على مصر.
- نشاط عقبة بن نافع فيما بين ولايتي عمرو على مصر.
- نشاط عقبة، منذ ولاية عمرو الثانية على مصر إلى أن عُيِّن والياً على إفريقية.
- ولاية عقبة بن نافع الفهري الأولى على بلاد المغرب.
- تأسيس مدينة القيروان:
- معنى القيروان 453.
- فكرة تأسيس القيروان 455.
- موقع القيروان 469.
- تهيئة مكان القيروان وبنائه 480.
- عزل عقبة عن ولاية إفريقية 506.
- من هو أبو المهاجر دينار؟

- إقامة أبي المهاجر في إفريقية.
- نشاط أبي المهاجر السياسي والعسكري بإفريقية.
- إعادة تعيين عقبة بن نافع واليا على بلاد المغرب.
- عودة عقبة إلى القيروان وقيامه بحملته الكبرى.
- انطلاق حملته عقبة الكبرى وحصار باغاية ولمبيزا.
- نشاط عقبة بن نافع في بلاد الزاب وتاهرت (تيهت).
- نشاط عقبة بكورة طنجة.
- نشاط عقبة في بلاد السوس.
- عودة عقبة بحملته من شاطيء المحيط إلى طنبنة.
- مصير كسيلة في حملة عقبة الكبرى.
- موقعة تهودة ومقتل عقبة بن نافع.
- النطاق الجغرافي لحملة عقبة الكبرى.
- كرامات عقبة بن نافع الفهري.
- وقع هزيمة تهودة ومقتل عقبة على مسلمي القيروان.
- استيلاء كسيلة على القيروان بعد موقعة تهودة.
- استعدادات زهير ببرقة وعودته إلى القيروان.
- زحف زهير بن قيس على كسيلة واستعداداتها للقتال.
- موقعة ممّس ونتائجها.
- ظروف مغادرة زهير الثانية من القيروان إلى المشرق.
- مقتل زهير بن قيس.
- تعيين حسان بن النّعمان قائدا لجيش إفريقية.
- أوضاع إفريقية ما بين مقتل زهير وقدم حسان إليها.
- نشاط حسان بن النّعمان في الساحل الإفريقي.
- المواجهة بين حسان بن النّعمان والكاهنة.
- من هي الكاهنة؟
- موقعه وادي مسكيانة وهزيمة الكاهنة لحسان.
- سياسة الكاهنة في إفريقية بعد هزيمة حسان.
- استعدادات حسان بركة لإعادة الكرّ على الكاهنة.
- سير حسان إلى الكاهنة وقتلها.
- حملة حسان الثانية على قرطاجنة (قرطاجة).

- عزل حسّان بن النّعمان وتولية موسى بن النّصير .

- من هو موسى بن نصير؟

- نشاط موسى بن نصير في إفريقية قبل حملته على المغرب الأقصى.

- حملة موسى بن نصير على المغرب الأقصى.

وفيما يخصّ المنهج المتّبع في إنجاز هذا العمل، فقد عمدت إلى جمع مادّته الأولى، أولاً من المصادر العربية: التاريخية والجغرافية، ولما انتهيت من جمعها، قمت بتحريرها بعيداً عن الكتابات الحديثة، أجنبية كانت أو عربية، ثمّ نشرتها ضمن سلسلة الكتب الأساسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية التي كان يصدرها ديوان المطبوعات الجامعية، وذلك سنة 2008م-2009م، بعنوان: "الفتح الإسلامي لبلاد المغرب"، ومن الملاحظ هنا أنّي تركت جانباً المادة الأثرية، على اعتبار أنّ الموضوع كان ذا طابع سياسي وليس ثقافي وحضاري، ممّا يُبقي باب البحث في هذا المجال مفتوحاً لمن يريد اقتحامه وملء فراغه.

وفي خطوة ثانية عمدت إلى جمع أهمّ الكتابات الفرنسية التي اعتمدت بدورها على نفس المادّة الأولى، وراح أصحابها يشرحونها ويفسّرونها ويحلّلونها، ويعلّقون عليها ويقارنون بينها ويستنتجون منها أموراً وفق منهج بدا لي أنّ ظاهره يطغى عليه الطابع العلمي- العقلاني، في حين أنّ باطنه يطغى عليه الطابع العاطفي الذاتي، واقتناعاً منّي بأنّ الاطلاع على مثل هذه الأعمال سيكون مفيداً للقراء باللّغة العربية، أقدمت على ترجمتها إلى لغة الضّاد وتصنيف أفكارها مع مراعاة الجانب الكرونولوجي لأحداث إشكالية الفتح الإسلامي للمغرب، مركزاً، مركزاً على الجوانب التي تصيف جديداً في الموضوع؛ بصرف النّظر عن قيمة هذا الجديد العلمية وعن اتّجاهه الفكري.

علماً أنّ الغالبية الساحقة من أصحاب هذه الأعمال المشار إليها فرنسيّون، والقليل منهم أوروبيون كتبوا بالفرنسية، وقد أضيف إليهم عربيّان مسلمان هما الجزائري إسماعيل هامت (Hamet Ismail)، لأنّه انفرد بتزويدنا بمعلومات جديدة عن نشاط عقبة بن نافع الفهري ببلاد السودان، في مقال نشره عام 1899م بالمجلة الإفريقية، وكان هذا المقال محلّ تعليق بعض الكتاب الفرنسيين؛ أمّا الكاتب الثاني فهو التّونسي محمد طالبي، صاحب كتاب الإمارة الأغلبية، والذي نشر عدّة مقالات بالموسوعة الإسلامية (Encyclopédie de l'Islam)، وهو لا يكاد يختلف في شيء في أسلوبه ومنهجه، عن أصحاب تلك المدرسة الفرنسية التي لم تغرّ منهجها إلى اليوم، لدرجة أنّه يصعب على من يطّلع على ما كتبه أن يميّز بين كتاباتهم وبين غيرها من كتاباتهم، فرأيت أنّه بالإمكان اتّخاذ نموذجاً لفئة من المسلمين تأثّرت بمنهج تلك المدرسة، خاصّة في مقالاته التي نشرت في دائرة المعارف الإسلامية.

والمفيد أنّي نشرت هذا العمل بعنوان: "الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرّخين الفرنسيين"،

(ترجمة وتصنيف)، صدر بدعم من وزارة الثقافة، وبدون تاريخ.

مع مراعاة الجانب الكرونولوجي لأحداث إشكالية الفتح الإسلامي للمغرب. وتصنيفها.

وأخيرا عمدت إلى جمع وتصنيف أغلب ما كتب باللغة العربية عن إشكالية فتح المغرب هذه، من أقدمه إلى أحدثه، وقمت بتحريره، بعد ما رتبته كرونولوجيا في مخطوط (مرقون بالحاسوب) هو في حوزتي إلى الآن، لأنّ الناشرين رفضوا نشره بسبب وقف الدعم الذي كانت تقدّمه لهم وزارة الثقافة لهذا الغرض، بحيث توقّف أغلبهم عن ممارسة هذه المهنة.

وبعد استيعابي الكامل لتفاصيل إشكالية فتح المغرب، قمت بوضع خطة شاملة لها، ثم شرعت في تحرير مباحث فصولها الواحد تلو الآخر، كما يلي:

الاقتصار أولاً على تحرير مادّة المصادر الواردة في شأن مبحثها الأول، إن كانت متوفرة، وبعدئذ يتمّ اللجوء إلى أقدم مرجع كتب عنها بلغة أجنبية (الفرنسية) وتعرّض لها، والنظر في الكيفيّة التي تناولها بها، من حيث التوثيق والأسلوب والاستنتاج والتحليل والموضوعية، ثمّ الانتقال إلى من كتب بعده، وما إذا ما وافقه في كلّ ما ذكره أو اختلف معه كلياً أو جزئياً، ومحاولة الحكم بينهما بطريقة منطقية. ويستمرّ الانتقال إلى الكتاب الآخرين، والنظر فيما كتبوه، مقارنة بالمادّة الأولية الواردة في المصادر وكتابات زملائهم السابقة لهم، وملاحظة ما أصابوا وما أخطأوا فيه، من صغيرة وكبيرة.

وبعد الانتهاء ممّا كتب باللغات أو اللغة الأجنبية المعينة، يتمّ الانتقال إلى ما كتب باللغة العربية، حديثاً، من أقدمه إلى أحدثه، مع الحرص على ملاحظة كيفيّة استغلال أول من كتب، في هذا الموضوع، للمادّة الأولية أي المصادر العربية، وما إذا أصاب في ذلك أو أخطأ كلياً أو جزئياً، وما إذا اقتبس أفكاراً من سابقه الأجانب، فرنسيين كانوا أم غيرهم، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، دون الإشارة إلى ذلك، أي دون أيّ توثيق، وهذا كثيراً ما كان يحدث، في عدد كبير من الكتابات التاريخية، القديمة والحديثة، ويدخل في إطار ما يسمّى بالسّرقة العلمية، ونفس الشيء ينبغي ملاحظته بالنسبة للكتاب العرب اللاحقين، مع ملاحظة أنّ بعض هؤلاء كان ينقل أفكاراً ومعلومات عن بعضهم الآخر، دون أيّ تحرّ ودون أيّ توثيق، وهو ما كنت أسلط الضوء عليه كلما اكتشفته، بغاية تنبيه قرائه إلى منهجه في الكتابة وإلى أخذ احتياطاتهم في تصديق كلّ ما يقرأونه له.

وبعد الانتهاء من تحرير المادّة التي كانت في حوزتي، من مصادر ومراجع فرنسية وعربية، في المبحث الواحد من أيّ فصل، كنت أقوم باستنتاج خلاصة له وأحرص كلّ الحرص على خلّوها من الشوائب والعيوب التي تضمّنتها الكتابات السابقة والتي تمّ اكتشافها وتسلّط الضوء عليها في هذه الدراسة، وبعد الانتهاء من تحرير المبحث الأول، أتعامل مع بقية المباحث بنفس الطريقة.

وفي نهاية الأمر استنتجت، من كلّ الخلاصات التي توصّلت إليها في كلّ المباحث، خاتمة من 46 صفحة، حرصت على خلّوها من العيوب التي تضمّنتها مختلف الأبحاث والدراسات التي أنجزت حول إشكالية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فيما سبق.